هل الظهورات المريمية حقيقــة أم لا

دراسة من الكتاب المقدس

بقلم:

جــلال دوس

« اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لِلهِ مُزَكًّى عَامِلاً لاَ يُخْزَى مُفَصِّلاً كَلِمَةَ ٱلْحَقِّ بِٱلاِسْتِقَامَةِ »

(٢ تيموثاوس ٢:١٥)

« لأَنَّنَا لاَ نَسْتَطِيعُ شَيْئاً ضِدَّ ٱلْحَقِّ بَلْ لأَجْلِ ٱلْحَقِّ »

(٢ كورنثوس ١٣:٨)

« اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِٱلْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ حَسَبَ تَقْلِيدِ ٱلنَّاسِ حَسَبَ أَرْكَانِ ٱلْعَالَمِ وَلَيْسَ حَسَبَ ٱلْمَسِيحِ »

(كولوسي ٢:٨)

هل من المعقول أنّ الظهورات المريمية تقوم بها شياطين وليست مريم العذراء؟

يعتبر الظهور المريمي الرئيسي في القرن العشرين هو ذلك الذي حدث في قرية فاطمة بالبرتغال على مدى ستة مرات للأطفال فرانسيسكو، جاسينتا ولوسيا في سنة ١٩١٧. فقد ادّعى هؤلاء الأطفال الثلاثة، التي كانت أعمارهم تتراوح ما بين ٧ – ١٠ سنوات، بأن السيدة مريم العذراء كانت تظهر لهم في الثالث عشر من كل شهر في الفترة ما بين مايو/أيار وأكتوبر/تشرين الأول من سنة ١٩١٧. وأنها حمّلتهم ثلاث رسائل هامة لتبليغها للكنيسة. ولتعزيز مصداقية رسائلها الهامة للكنيسة دعت الأطفال لأن يحثوا أكبر عدد من الناس للتواجد في منتصف يوم ١٧ أكتوبر/تشرين الأول، حيث كانت ستقوم مريم العذراء بمعجزات خارقة للطبيعة لإثبات مصداقية ادعاءات الأطفال. وبالفعل تجمع أكثر من خمسة وسبعون ألف نسمة في البقعة المحددة، وفي الوقت المحدد، شاهد الجمهور هذه المعجزات الخارقة كما وعدت القديسة مريم بالقيام بها. وسجل رجال الإعلام، والصحفيون الذين كانوا بين الجمع وقائع هذه المعجزات الخارقة للطبيعة، واعتبرت الكنيسة الكاثوليكية بعد ذلك رسائل فاطمة هي « إحدى تدخلات الله العظمى بواسطة القديسة مريم في تاريخ العالم منذ موت الرسل » على حد زعم البابا بايوس الثاني عشر (المرجع ص. ١٣٢ The Thunder of Justice).

تلاْ الظهور المريمي الرئيسي في فاطمة بالبرتغال أكثر من ٣٠٠ ظهور هام حتى يومنا هذا. لهذا لا يستطيع المرء العاقل أن ينكر حقيقة هذه الأحداث. ولكن السؤال الذي يفرض نفسه علينا جميعا هو : هل الكائن الذي يظهر في هذه الظهورات هو في الواقع مريم العذراء، أم أن هناك قوى أخرى في الكون من مصلحتها تضليل الناس وجعلهم يعتقدون بأن مريم العذراء هي بالفعل التي

تظهر؟ كما نفعل دائما في مواجهة مثل هذه الأسئلة الهامة والصعبة، علينا بالعودة إلى الكتاب المقدس وليس سواه، لنجد الإجابة على هذا السؤال الهام.

يخبرنا الكتاب المقدس بأن « الأَحْيَاءَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ، أَمَّا الْمَوْتَى فَلاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَلَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ بَعْدُ لأَنَّ ذِكْرَهُمْ نُسِيَ. وَمَحَبَّتُهُمْ وَبُغْضَتُهُمْ وَحَسَدُهُمْ هَلَكَتْ مُنْذُ زَمَانٍ، وَلاَ نَصِيبَ لَهُمْ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ، فِي كُلِّ مَا عُمِلَ تَحْتَ الشَّمْسِ » (جامعة ٩ : ٥، ٦). وبما أن الأموات لا يعلمون شيئاً، كما ذكر سليمان الحكيم، فهم لا يقدرون على تسبيح الله. « لَيْسَ الأَمْوَاتُ يُسَبِّحُونَ الرَّبَّ، وَلاَ مَنْ يَنْحَدِرُ إِلَى أَرْضِ السُّكُوتِ » (مزمور ١١٥ : ١٧). فالموتى لا يسبحون الله ولا يعلمون شيئاً لأنه عندما يموت الإنسان « تَخْرُجُ رُوحُهُ (أي نسمة حياته) فَيَعُودُ إِلَى تُرَابِهِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَفْسِهِ تَهْلِكُ أَفْكَارُهُ » (مزمور ١٤٦: ٤). فالإنسان عندما يموت يعود إلى وضعه كما كان قبل دخول نسمة الحياة (الروح) إلى أنفه. يقول الكتاب المقدس « فَيَرْجِعُ التُّرَابُ إِلَى الأَرْضِ كَمَا كَانَ، وَتَرْجِعُ الرُّوحُ (نسمة الحياة) إِلَى اللهِ الَّذِي أَعْطَاهَا » (جامعة ١٢: ٧). فلو كان جزء من الإنسان يستمر في الحياة بعد موته لاتّصَفَ الإنسان بالخلود. بينما يخبرنا الكتاب المقدس أن الله وحده له صفة الخلود، أي عدم الموت. « الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الأَبَدِيَّةُ. آمِينَ » (تيموثاوس الأولى ٦: ١٦). ولو كان للإنسان بعد الموت صفة الخلود أو عدم الموت لما كنا في حاجة للمسيح أو لإنجيله. « وَإِنَّمَا أُظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ » (تيموثاوس الثانية ١: ١٠). يتضح من الآيات أعلاه أن الله وحده له عدم الموت، كما أن الإنجيل أعطانا فرصة الحصول على الخلود (أي الحياة الأبدية) بواسطة الإيمان بيسوع المسيح. فلو كان الإنسان يتمتع بالخلود لما كان الرسول بولس يناشدنا بأن نسعى وراء الحياة

الأبدية. « أَمَّا الَّذِينَ بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْبَقَاءَ، فَبِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ » (رومية ٢: ٧). نلخص ما أثبتناه حتى الآن من آيات الكتاب المقدس:

١) الموتى لا يعلمون شيئاً. فمعنى ذلك أنهم لا يستطيعون أن يكلمونا أو يعلموا ما يدور في الأرض.

٢) الموتى لا يسبحون الله. ولو كان الموتى مستمرون في الحياة لكان أول ما يفعلونه هو تسبيح الله. « لأَنَّ الْهَاوِيَةَ لاَ تَحْمَدُكَ. الْمَوْتُ لاَ يُسَبِّحُكَ. لاَ يَرْجُو الْهَابِطُونَ إِلَى الْجُبِّ أَمَانَتَكَ » (إشعياء ٣٨: ١٨).

٣) الله وحده له صفة عدم الموت.

٤) الكتاب المقدس، عبر أنبيائه، يحثنا على السعي وراء الخلود. هذه الحقيقة تؤكد أننا حاليا لا نتمتع بالخلود أو صفة عدم الموت.

والآن نعود إلى السيدة مريم العذراء. فالذين يعتقدون بأنها حية يقعون بين فئتين:

الفئة الأولى: هي التي تعتقد وتؤمن بأن الإنسان عندما يموت، تستمر روحه في الحياة، وتكون روحه واعية وملمة بكل ما يحدث في الأرض بالنسبة إلى الناس القريبة من هذا الإنسان قبل موته. وما قد ذكرناه أعلاه من آيات وإيضاحات يؤكد استحالة هذا الاعتقاد.

أما الفئة الثانية: فهي عندما تدرك استحالة وجود أي نوع من الوعي أو الإدراك عند الموتى، كما أوضحنا أعلاه، تلجأ إلى الاعتقاد بأن السيدة مريم العذراء بعد موتها قد تم إقامتها ونقلها إلى ملكوت الابن في السماء وذلك نظراً لمكانتها ومنزلتها السامية والمقدسة.

وهنا علينا أن نسأل من يؤمنون بانتقال السيدة مريم العذراء إلى السماء بعد موتها، على أي أساس بنوا هذا الاعتقاد؟ فلا يوجد دليل واحد في الكتاب المقدس يعزّز هذه الفكرة – أي انتقال السيدة مريم العذراء إلى السماء عند موتها؟ فالكتاب المقدس يؤكد أنه سوف « تَكُونُ قِيَامَةٌ لِلأَمْوَاتِ، الأَبْرَارِ وَالأَثَمَةِ » (أعمال ٢٤: ١٥). والرب يسوع المسيح أخبرنا

« إِنَّـهُ تَـأْتِي سَـاعَةٌ وَهِـيَ الآنَ، حِـينَ يَسْـمَعُ الأَمْـوَاتُ صَـوْتَ ابْـنِ اللهِ، وَالسَّـامِعُونَ يَحْيَـوْنَ. لاَ تَتَعَجَّبُوا مِنْ هذَا، فَإِنَّـهُ تَـأْتِي سَاعَةٌ فِيـهَا يَسْـمَعُ جَمِيعُ الَّذِيـنَ فِـي الْقُبُـورِ صَوْتَـهُ، فَيَخْـرُجُ الَّذِيـنَ فَعَلُوا الصَّالِحَـاتِ إِلَـى قِيَامَـةِ الْحَيَـاةِ، وَالَّذِيـنَ عَمِلُـوا السَّـيِّئَاتِ إِلَـى قِيَامَـةِ الدَّيْنُونَـةِ » (يوحنـا ٥: ٢٥، ٢٨، ٢٩). فالانتقـال إلى السـماء بالنسـبة إلى الأبـرار سـيتم عنـد المجـيء الثـاني للمسيح وليس قبلـه. يؤكـد هـذا المفـهوم أيضـاً الرسـول بولـس عندمـا قـال: « لأَنَّ الـرَّبَّ نَفْسَـهُ بِـهُتَافٍ، بِصَـوْتِ رَئِيـسِ مَلاَئِكَـةٍ وَبُـوقِ اللهِ، سَـوْفَ يَـنْزِلُ مِـنَ السَّـمَاءِ وَالأَمْـوَاتُ فِـي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ثُـمَّ نَحْنُ الأَحْيَـاءَ الْبَـاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَـهُمْ فِـي السُّـحُبِ لِمُلاَقَـاةِ الـرَّبِّ فِي الْـهَوَاءِ، وَهكَذَا نَكُونُ كُـلَّ حِينٍ مَعَ الـرَّبِّ » (تسـالونيكي الأولى ٤ : ١٦-١٧).

مـن هنـا نسـتخلص مـن الآيـات أعـلاه أن جميـع القديسـين، بمـا في ذلـك مريـم العـذراء وبولـس وجميـع التلاميـذ والقديسـين علـى مـر الأجيـال، سـينتقلون إلى ملكـوت الـرب عنـد المجيء الثـاني للمسيح وليس قبـل ذلـك. فـهذه هـي القـاعدة العامـة في الكتـاب المقـدس. وأيـة استثناءات علـى هـذه القـاعدة، فقـد تم ذكرهـا في الكتـاب المقـدس وتحديدهـا. فالكتـاب يخبرنـا بـأن أخنـوخ تم نقلـه حيـا إلى السـماء. (عـبرانيين ١١ : ٥). وكذلـك موسـى تم إقامتـه مـن الأموات ونقلـه إلى السـماء (يـهوذا ٩). وإيليـا تم نقلـه حيـا إلى السـماء في مركبـة ناريـة (٢ملـوك ٢ : ١١). ولم يفصح الكتـاب المقدس عن انتقـال القديسـة مريـم إلى السـماء سـواء قبـل موتـها أو بعـد موتـها. وبمـا أنـه لم يتـم ذكـر أي شـيء عن هـذا الأمـر، فـهذا يعـني أن السـيدة مريـم العـذراء خضعـت للقـاعدة العامـة بخصـوص الموتـى الأبـرار. إذ لـو كـان هنـاك أي اسـتثناء لذلـك في حالـة السـيدة مريـم العـذراء لكـان قد ذُكِرَ في الكتاب المقدس، كمـا حـدث الأمـر بالنسـبة إلى أخنـوخ وموسـى وإيليـا ولكننـا لا نجـد أي ذكـر في الكتـاب المقدس لمثـل هـذا الاستثناء للسيدة مريـم العذراء.

إذاً، كيـف نفسّر الظـهورات المريمية الـتي تـزداد يوما بعـد يـوم في كافـة أنحـاء العـالم؟ مـرة أخـرى نعـود إلى الكتـاب المقدس لنجـد التفسير الكتـابي لـهذه الظـاهرة. لقـد سـبق وأنذرنـا الـرب يسـوع بقولـه:

« انْظُرُوا! لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ » (متى ٢٤: ٤). هذا التنبيه المتكرر في العهد الجديد يوضح لنا أن الشيطان يسعى باجتهاد لا يعرف الملل أو الكلل، لكي يضل لو أمكن المختارين أيضاً بشتى الوسائل والطرق. « وَلاَ عَجَبَ. لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ! » (كورنثوس الثانية ١١: ١٤). فمن مصلحة الشيطان، في سعيه لتضليل العالم أجمع، أن يجذب الأنظار إلى شخص العذراء مريم. فهي شخصية محبوبة ومُكرّمة لدى كافة الناس. وفي انجذاب الناس لشخص العذراء مريم يكون الشيطان قد نجح في إبعاد أنظار الناس عن الوسيط الأوحد – يسوع المسيح. فالكتاب المقدس يخبرنا بأنه « يُوجَدُ إِلـهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ » (تيموثاوس الأولى ٢: ٥). بينما نجد اليوم أن الشيطان قد نجح بجعل مريم وسيطة أخرى بالإضافة إلى الرب يسوع بين الناس والله. فأصبح يطلق عليها لقب Co-Mediatrix (شريكة في الشفاعة). وهذه بدعة مخالفة لتعليم الكتاب. وعن طريق إعلاء شأن مريم وجعلها وسيطة بين الله والناس استطاع الشيطان، بجعل أحد ملائكته يتقمص هيئة العذراء مريم، أن يبث لضحاياه تعاليم وتوجيهات مخالفة لتعاليم الكتاب المقدس، الأمر الذي من شأنه ترسيخ الضلالات السائدة في عقول الناس. فمثلاً كثيراً ما تظهر القديسة مريم وتدعو الناس لحفظ يوم الأحد، وهو السبت المزيف، وللاستماع لتعليمات بابا روما. وهذه أمور من شأنها أن تبعد الناس عن الحق الكتابي. يقول الكتاب أنه عندما يصرف الناس مسامعهم عن « الْحَقِّ ... يَنْحَرِفُونَ إِلَى الْخُرَافَاتِ » (تيموثاوس الثانية ٤: ٤). وهذا ما يسعى إليه الشيطان دائماً وأبداً وتقمُّصه لشخصية مريم العذراء يسهّل عليه نشر عمل الضلال.

ونظرا للمكانة السامية التي تحظى بها السيدة مريم العذراء عند الاخوة المسلمين « وإذ قالت الملائكة لمريم إنّ الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين » (آل عمران ٤٢)، فسيسعى الشيطان من خلال الظهورات المريمية إلى إقناع أخوتنا في الإسلام بأن رسائل مريم العذراء هي رسائل آتية من السماء من عند الله وينبغي دعمها ومسايرتها. وليس من سبيل المصادفة أن يكون أول وأهم ظهور مريمي في القرن العشرين في قرية فاطمة بالبرتغال.